المحاضرة الأولى: الإطار الجغرافي لشبه الجزيرة الإيبيرية

1- جغرافية شبه الجزيرة الإيبيرية:

1-1- الموقع الجغرافي:

تقع شبه الجزيرة الإيبيرية (اسبانيا والبرتغال حاليًا) والمشهورة في العصر الوسيط باسم الأندلس في الجنوب الغربي من قارة أوروبا، تفصلها عن فرنسا جبال البيرينيه، وهي جبال شاهقة، تتخللها شعاب ضيقة، وممرات وعرة، ويفصلها عن قارة إفريقيا مضيق جبل طارق، ويذكر الحموي أنَّ المسافة بين الأندلس وبلاد المغرب تقدر باثني عشر ميلًا، بحيث يرى أهل الجانبين بعضهم بعضًا.

ويحدها من الشمال فرنسا وخليج بِسكاي (يسمى أيضًا خليج غاسكونيا أو بحر الكرانتيك) ومن الشرق والجنوب البحر الشامي (البحر الرومي، مشهور حاليًا بالبحر الأبيض المتوسط) ومن الغرب البحر المظلم أو بحر الظلمات (المحيط الأطلسي).

ويذكر الإدريسي والحِميري أن الأندلس في ذاتها فشكل مثلث يحيط بها البحر من جميع جهاتها الثلاث، فجنوبها يحيط بها البحر الشامي (البحر الرومي) وغربها يحيط بها البحر المظلم (المحيط الأطلسي) وشمالها يحيط بها بحر الإنقليشيّين (الإنجليز أي بحر الشمال).

وقسَّمت المصادر الجغرافية بلاد الأندلس إلى عدَّة أقاليم، وذكرت مميزات كل إقليم، وخصائصه، وامتداده، وأهم مدنه وقراه.

1-2- تضاريسها ومناخها:

على الرغم من أنَّ شبه الجزيرة الإيبيرية تتكون في معظمها من هضبة كبيرة، وهو ما يجعلها تبدو وكأنها وحدة جغرافية، فإنَّ كثرة جبالها، وامتداداتها الواسعة، وكثرة أوديتها العميقة، قد أعاقت الاتصال بين أجزاء شبه الجزيرة المختلفة، مما أدى إلى نشوء وحدات محلية منفصلة عن بعضها البعض بحواجز طبيعية.

وفي شبه الجزيرة الإيبيرية تتعدد الأقاليم المناخية، فالمنطقة الشمالية والغربية المطلة على المحيط الأطلسي تمتاز بمناخ محيطي، حيث ينهمر المطر بغزارة على مدار السنة، وينتج عنه مراعي غنية. ويسود المناخ القاري شبه الجاف المناطق الوسطى من شبه الجزيرة، حيث تنبت الأعشاب القليلة. أما المنطقة المطلة على البحر الأبيض المتوسط (البحر الرومي أو بحر الزقاق)، فتمتاز باعتدال مناخها وبأمطارها الشتوية وصيفها المعتدل الجاف.

1-3- ميزاتها الطبيعية وخيراتها:

يقول الحِميري أنَّ الأندلس بقعة كريمة، طيبة التربة، كثيرة الفواكه، والخيرات فيها دائمة، وبها المدن الكثيرة والقواعد العظيمة، وفيها معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والزئبق واللازورد والشب وغيرها.

ويُشبهها الحِميري بمجموعة من البلدان والأقطار، حيث قال أنَّها "شامية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عِظم جناتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها".

ويتحدث الزُهري أيضًا عن بركة الأندلس وخيراتها فقال أنها حسنة الهواء طيبة الماء، طولها أربعون يومًا، يشقها أربعون نهرًا، لا يوجد هذا في معمور الأرض إلَّا فيها. وهي أبرك بقاع الأرض وأكثرها نسلًا، وذلك لأنَّها صُقع صغير، وفيها ثمانون مدينة من القواعد الكبار، ومثلها وأزيد من الصِّغار، وليس في معمور الأرض صُقع أصغر من هذا الصُّقع يجد فيه المسافر ثلاث مدن وأربع مدن قريبة بعضها من بعض إلَّا في الأندلس. ومن بركتها أنَّه لا يمشي الإنسان فيها فرسخين دون ماء، ولا يمشي ثلاثة فراسخ إلَّا وجد فيها الخبز والزيت في الحوانيت على طول سفره.

2- مصطلح الأندلس:

أطلق اليونان على الأندلس اسم ايبيريا (Iberie) وهذه التسمية نسبة لشعب قديم مجهول الأصل يعتبر أقدم شعوب أوروبا الغربية كلها. أمَّا الرومان فقد أطلقوا عليها اسم اسبانيا.

أمَّا المسلمون فقد سموا شبه الجزيرة الإيبيرية باسم الأندلس، نسبة إلى قبيلة الوندال التي ملكت هذه البلاد، وهم شعوب الجرمان الأوروبية.

وقال الإدريسي أنَّ تسمية الأندلس مأخوذة من أندلس بن طوبال بن يافث بن نوح، ويقول الحِميري "أنَّه يقال إنَّ أوَّل من اختط الأندلس بنو طوبال بن يافث بن نوح، حيث سكنوا الأندلس في أول الزمان، وملوكهم مائة وخمسون ملكًا".

وذكر الحِميري أيضًا العديد من التسميات لبلاد الأندلس، حيث قال "أنَّه قيل اسمها في القديم أبارية، ثمَّ سميت بعد ذلك باطقة، ثم سميت اشبانية من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه اشبان، وقيل سميت بالاشبان لقوم سكنوها في الأول من الزمان، وسميت بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش الذين سكنوها".

ويؤكد ابن عذارى رأي الحِميري الأخير حيث قال "أنَّه قيل إنَّ أوَّل من نزل الأندلس بعد الطوفان قومٌ يعرفون بالأنْدَلِش (بشين مُعجمة) فسميت بهم الأَنْدَلُس (بالسين غير مُعجمة) وقيل أنَّهم كانوا مجوسًا، فأراد الله طردهم منها، فحبس المطر عنهم، فأصابهم القحط والجفاف، فخرجوا منها وتفرقوا في البلاد".

المحاضرة الثانية: الأوضاع السِّياسيَّة لشبه الجزيرة الإيبيرية قبل الفتح الإسلامي

1- استيلاء القوط على شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس):

القوط هم قبائل جرمانية شرقية، قاموا بغزو الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث للميلاد، وكان لهم دور في سقوطها، انقسموا إلى قوط شرقيين وغربيين، فملك القوط الغربيون الأندلس، ويذكر صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس أنَّ القوط كانت بينهم وبين الروم حروب عظيمة كان فيها الظهور للقوطيّين، فصالحهم ملك الروم بأن أسلم إليهم الأندلس، فجعلوا عاصمة مملكتهم طليطلة.

وقد ملك القوط الأندلس مدة ثلاثة قرون، وكان عدد ملوكهم في شرقي بلاد روما وجوفها سبعة وثلاثين ملكًا، والذي ملك منهم الأندلس تسعة ملوك، أولهم شنشقوط بن تبرين، ثمَّ ولده شبيلة، ثمَّ شنبشر بن شبيلة، ثمَّ تلعة بن شبيلة، ثم وخشرند بن تلعة، ثمَّ ارجشيدش بن وخشرند، ثمَّ ابن ارجشيدش وكان مشتركًا في الملك مع أخيه اقفة، ثمَّ حكم الملك الثامن غيطيشة بن أهد بن ارجشيدش مدة ثلاث سنوات.

2- استيلاء لذريق على الحكم واضطراب الأوضاع السياسية في الأندلس:

حينما توفي غيطيشة استولى لذريق على حكم الأندلس بالقوة، رغم أنَّه لم يكن من أهل بيت المَلك، وإنما كان عامله على قرطبة فقط. وحينما استتب له الأمر، أفسد سنن من تقدمه من الملوك، وبدَّل سيرتهم وجار وعسف في الرعية.

ومن سُنن ملوك القوط التي بدلها لذريق تجرئه على فتح ذلك البيت المقفل في طليطلة، وقد أوردت المصادر التَّاريخية هذه الحادثة، ويُحتمل أن تكون صحيحة، حيث تنبأت هذه الحادثة بزوال مُلك لذريق في الأندلس، ومفادها أنَّه كان في مدينة طليطلة بيت عليه أقفال، فكلما أتى ملك يزيد عليه قفلًا ولم يتجرأ أحد على فتحه خوفًا منه وتعظيما له، وقيل وصل عدد أقفاله عشرون قفلًا، وحينما تولى لذريق أصرَّ على فتحه رغم أنَّ القساوسة والرهبان والأساقفة نصحوه بعدم فعل ذلك، وحينما فتحه وجد فيه رف كبير وقيل تابوت وقيل صندوق، فيه صورة رجال عليهم العمائم وتحتهم الخيول المُسَوَّمَة، وفي أيديهم السيوف، والرايات على القنا بين أيديهم، وفيه مكتوب بالعجمية هذه صورة العرب (المسلمين) فإذا فتحت أقفال هذا البيت ودُخل البيت، فتح العرب (المسلمين) هذه الجزيرة وتملكوا أكثرها، فندم لذريق على فتحه وأغلقه.

والحادثة التي زادت من تأزم الأوضاع السِّياسيَّة في الأندلس آنذاك، دخول الملك لذريق في صراع مع يوليان حاكم سبتة، بسبب اغتصاب لذريق لبنت يوليان، حيث يذكر ابن عبد الحكم أنَّ يوليان "أرسل ابنته إلى لذريق ليؤدبها ويعلمها، فأحبلها، فبلغ ذلك يوليان، فقال لا أرى له عقوبة ولا مكافأة إلَّا أن أدخل عليه العرب (يقصد هنا بالعرب، المسلمين).

ولمَّا فسدت العلاقة بين يوليان وملكه القوطي لذريق، راسل يوليان، طارق بن زياد وعرض عليه المساعدة في فتح الأندلس انتقامًا من ملكها لذريق. كما تبادلا الهدايا، وحينما طالب طارق من يوليان رهينة لكي يأمن شره، أرسل له يوليان ابنتيه ولم يكن له ولد غيرهما.

وتعتبر هذه المساعدة التي قدمها يوليان للمسلمين من الأسباب الرئيسية لفتح بلاد الأندلس، بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير.

المحاضرة الثالثة: الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس

استكمل موسى بن نصير فتح المغرب الأوسط، ثمَّ اتجه إلى المغرب الأقصى وأخضع قبيلة أوربة البربرية، والسوس الأقصى، والمصامدة في جبال درن، كما فتح السوس الأدنى وعيّن واليًا عليها، ثمَّ فتح طنجة وولى عليها طارق بن زياد، ولم تبق غير مدينة سبتة التي استعصت على المسلمين لحصانتها الطبيعية والصناعية ومساعدة ملوك القوط لحاكمها يوليان.

وباستيلاء المسلمين على طنجة قاعدة المغرب الأقصى وتحويلها إلى رباط عسكري بقيادة طارق بن زياد يكتمل فتح المغرب الأقصى، ويبدأ التفكير في فتح بلاد الأندلس.

وقد جاءت الفرصة للمسلمين لفتح هذه البلاد حينما عرض حاكم سبتة يوليان على والي طنجة طارق بن زياد المساعدة من أجل فتح بلاد الأندلس، فاستشار طارق موسى بن نصير في القيروان واستشار هو الآخر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في استكمال الفتح إلى ما وراء البحر أي إلى بلاد الأندلس، فأذن له الخليفة بشرط إرسال حملات استطلاعية لمعرفة أحوال هذه البلاد.

فأرسل طارق بن زياد لهذا الغرض رجل اسمه طريف ويكنى بأبي زُرعة في مئة فارس وأربع مائة راجل سنة 91هـ/710م على رأس حملة انطلقت من طنجة بأربعة سفن أمدها لهم حاكم سبتة يوليان إلى ساحل الأندلس، فنزل في موضع أصبح يدعى جزيرة طريف إلى يومنا هذا، وشنَّ سلسلة غارات وصلت حتى الجزيرة الخضراء فقتل وسبى وأصاب غنائم كثيرة، وعاد إلى طنجة بأخبار مفرحة لطارق حيث أخبره بسعة البلاد وكثرة نعمها وخيراتها، ولمَّا سمع موسى بن نصير بهذه الأخبار أمر طارق بن زياد بتجهيز حملة كبرى لغرض فتح الأندلس.

جهز طارق بن زياد جيشًا قدره حوالي اثنا عشر ألف جندي من البربر، وعبر إلى الأندلس وقيل أنَّه أحرق السفن عندما وصل إلى العُدوة الأندلسية وقال مقولته المشهورة لتشجيع الجيش على الثبات والجهاد في سبيل الله "أيُّها النَّاس أين المفر ؟ البحر من وراءكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلَّا الصدق والصبر...."

وقد حط طارق في جبل يُعرف إلى اليوم باسمه وهو جبل طارق في شعبان 92هـ/جوان 711م وبدأ حملته بالاستيلاء على المدن والقرى المجاورة له، ثمَّ تقدم في البلاد يحقق نصرًا تلو الآخر على الجيوش التي كان يرسلها لذريق لصدِّ تقدمه، وعندما لم تغني هذه البعوث التي أرسلها تجهز لذريق بنفسه في جيش ضخم بلغ تعداده مئة ألف مقاتل، وقد توجه به جنوبًا صوب جيش طارق بن زياد فالتقى الجمعان في الثامن والعشرين رمضان 92هـ/18جويلية 711م في معركة ضارية دامت ثمانية أيام انتهت بانتصار المسلمين وانهزام القوط وقتل ملكهم لذريق أو غرقه في بعض الرِّوايات، وقد سميت هذه المعركة بأسماء عدَّة منها معركة شذونة، البحيرة، وتُعرف أكثر بمعركة وادي لكة.

ثمَّ تقدم طارق لمواصلة الفتح فهزم القوط المجتمعين في مدينة استجة، وفتح قرطبة وطليطلة عاصمة القوط ومدن كثيرة، وهنا أصبحت البلاد كلها تقريبًا سهلة للفتح وفي متناول الخلافة الأموية.

أمَّا موسى بن نصير فقد أعد بدوره جيشًا قوامه ثمانية عشر ألف مقاتل ودخل الأندلس بعد عام من حملة طارق في رمضان 93هـ/جوان 712م وفتح شذونة وقرمونة واشبيلية وماردة وباجة، ثمَّ ذهب إلى طليطلة فاستقبله طارق بتعظيم وإجلال، ولكن موسى بدلًا أن يشكره وبخه وأنبه على عدم توقفه عند قرطبة ومواصلته للفتح، ويذكر ابن عبد الحكم أنَّ طارق ترضاه وقال له إنَّما أنا مولاك وهذا الفتح لك، فقبل موسى اعتذاره ورضي عنه.

والمهم بعد هذا اللقاء وضع القائدان طارق وموسى خطة لإتمام فتح ما تبقى من الأندلس، فقد خرج الجيش الإسلامي من طليطلة وعلى مقدمته طارق ومن خلفه موسى في بقية الجيش متوجهين إلى الشمال الشرقي ففتحا مدينة سرقسطة وبرشلونة ونافار

ووصلوا إلى جبال البرت (البرينيه)، ثمَّ افتتحا مدن الإقليم الشمالي الغربي المتمثلة في جليقية وقشتالة وغيرهما، وأخيرًا عادوا أدراجهم جهة الجنوب الشرقي وفتحوا بلنسية، ولم يفتح المسلمون فقط من شبه الجزيرة الإيبيرية إلَّا أقصى الشمال الغربي حيث جبال أستوريش التي اعتصم بها القوط رفقة زعيمهم بلايو أو بلاي، وشيئًا فشيئًا قويت شوكتهم حتَّى كونوا المملكة النَّصرانيَّة في الشمال.

وأقام موسى بالأندلس مجاهدًا وجامعًا للأموال ومرتبًا للأمور إلى بداية سنة 95هـ/714م ثمَّ استخلف ابنه عبد العزيز عليها ورجع إلى القيروان ومنها أستدعي من قبل الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك إلى المشرق رفقة طارق بن زياد.

المحاضرة الرابعة: عصر الولاة في بلاد الأندلس

يبدأ عصر الولاة في الأندلس من ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة95هـ/714م وينتهي مبكرًا في سنة 138هـ/755م بقيام الدَّولة الأموية، عكس بلاد المغرب الذي تأخر نسبيًا حتى سنة 184هـ/800م، وقد قامت الدَّولة الأموية بقيادة عبد الرَّحمان بن معاوية الملقب بالداخل وبصقر قريش حيث قضى على آخر والي عباسي وهو يوسف بن عبد الرحمان الفهري في شهر ذي الحجة 138هـ/ماي 756م.

وقد تولى الأندلس بعد فتحها سنة 92هـ/711م إلى أن دخلها عبد الرَّحمان الداخل حوالي عشرين واليًا في فترة قاربت نصف قرن من الزمن، وقد مكث بعضهم في الإمارة عدَّة أشهر فقط وهناك من حكم بضع سنوات. ويتم تعيينهم إمَّا بقرار من الخلافة في المشرق مباشرةً أو بقرار من والي المغرب، وقد يُجمع الجُند وأهل الأندلس أحيانًا على اختيار والي ثمَّ يُقره الخليفة فيكون التَّعيِّين ذاتيًا.

وقد قسمت الأندلس إداريًا في البداية إلى أربع ولايات يعين لكل واحدة حاكم مسئول أمام والي الأندلس، وتشمل الولاية الأولى الأراضي الواقعة بين البحر ونهر الوادي الكبير وما يلي هذا النهر إلى وادي بانا وأهم مدنها قرطبة جيان واشبيلية ومالقة، وتشمل الولاية الثانية اسبانيا الوسطى من البحر المتوسط شرقًا إلى حدود لوزيتانيا (البرتغال الحالية) غربًا وتمتد حتَّى نهر دورو في الشمال واهم مدنها طليطلة ووادي الحجارة وبلنسية ودانية ومرسية وغيرها، وتشمل الولاية الثالثة جليقية ولوزيتانيا (البرتغال القديمة) وأهم مدنها ماردة وباجة ولشبونة وغيرها، وتشمل الولاية الرابعة المنطقة الممتدة من شاطئ نهر دورو إلى جبال البرينيه على شفتي نهر الأبرو وأهم مدنها سرقسطة، طرطوشة، برشلونة، تطيلة، بلد الوليد ووشقة وغيرها، وعندما اتسعت الفتوحات الإسلامية أنشئت ولاية خاصة شمال البرينيه.

– سمات عصر الولاة في الأندلس:

يتميز عصر الولاة في الأندلس بمجموعة من السمات أهمها:

– وصول الجيوش الإسلامية إلى ما وراء جبال البرت (البرينيه) حيث الأراضي الفرنسية ومدنه بون وليون وغيرها وإتمام الفتح الإسلامي في كامل بلاد الأندلس ماعدا منطقة أستوريش التي اعتصم بها القوط، وقاموا بتنظيم هجمات على المسلمين لدحرهم نحو الجنوب، ولعل أهم قادتهم في تلك المرحلة هو ألفونسو الأوَّل الذي وحَّد جبهة المقاومة النَّصرانيَّة ضدَّ المسلمين لأوَّل مرة عام 133هـ/750م.

- نشر الدِّين الإسلامي وتعاليمه السمحة في الأندلس، ودخول عدد معتبر من السكان المحليّين القوط في الإسلام.

- حرية الأديان حيث عاش غير المسلمين في الأندلس أحرار في عقائدهم.

- القضاء على نظام الطبقات الذي كان سائدًا في عهد القوط.

- الصراع العربي العربي بين القيسية واليمنية، وقد خلف ذلك اضطرابًا وفوضى كادت أن تقضي على تواجد المسلمين بالأندلس في المهد.

- اشتراط بني أمية أن يكون الوالي على الأندلس عربيًا وأن تكون قيادة الجيوش والوظائف الكبرى محصورة في عشيرتهم أو القبائل المتحالفة معهم.

- قيام البربر ببعض الثورات ضدَّ سياسة الولاة الجائرة.

- ضرب العملة الإسلامية والاهتمام بالبناء والتعمير حيث بنا الولاة المساجد والمدارس ودور العلم لنشر الإسلام.

- نشأة جيل المولدين نتيجة انخراط الفاتحين بالسكان الأصليّين القوط وانتشار الإسلام بصورة سريعة.

المحاضرة الخامسة: الدَّولة الأمويَّة في الأندلس

- تأسيس الدَّولة:

في سنة 132هـ/749م تمكن العباسيون من إسقاط الخلافة الأمويَّة بدمشق في معركة الزاب الشهيرة، حيث قضوا على آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمَّد، وحاول العباسيون متابعة أفراد البيت الأموي الحاكم في كل مكان والقضاء عليهم نهائيًا، لكن واحد منهم وهو عبد الرَّحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية والذي يدعى عبد الرَّحمان الداخل كما يلقب بصقر قريش تمكن من النجاة بنفسه والوصول إلى مصر ثمَّ بلاد المغرب التي أقام بها مدةً من الزمن ثمَّ انتقل إلى بلاد الأندلس فاستغل أوضاعها السِّياسيَّة المضطربة وقضى على والي العباسيّين عام 138هـ/756م فبويع أميرًا جديدًا للأندلس في مدينة قرطبة التي اتخذها عاصمةً لدولته وهو ابن خمس وعشرين سنة.

وقد اتبعت الدَّولة الأموية في الأندلس منذ قيامها سنة 138هـ/756م إلى غاية سقوطها سنة 422هـ/1031م النظام الوراثي، حيث كان الحكم في نسل عبد الرَّحمان الداخل، وقد برز منهم سلاطين أقوياء أشهرهم على الإطلاق عبد الرَّحمان الداخل (138-171هـ)/(756-787م) عبد الرَّحمان الأوسط (206-238هـ)/(821-852م) وعبد الرَّحمان الناصر (300-350هـ)/(912-962م) وقد تلقب هذا الأخير بلقب أمير المؤمنين سنة 928/316م أي أعلن نفسه خليفة واتخذ لقب الناصر لدين الله، كما عُرف عبد الرَّحمان الناصر باسم عبد الرَّحمان الثالث، وكان الأمويّين قبله لم يتخذوا لقب خليفة أو أمير المؤمنين مثلما هو معهود لدى العباسيّين في بغداد.

وحكم الأندلس بعد عبد الرَّحمان الناصر ولده الحكم الملقب بالمستنصر (350-366هـ)/(962-977م) ثم ولد المستنصر، الطفل هشام بن الحكم حيث تولى عرش الأندلس تحت وصاية أمه سنة 366هـ/977م وهو ابن الحادي عشر سنة وثمانية أشهر، وقد تعاونت أمه مع المنصور محمَّد ابن أبي عامر الذي شغل منصب الوزارة ثمَّ الحجابة في قتل عم ولدها هشام ورئيس وزرائه فاستتب الأمر لها، وللمنصور بن أبي عامر الذي أصبح الوريث الشرعي للدَّولة الأمويَّة حيث استغل صغر سن هشام بن الحكم واستأثر بالحكم، وبذلك يبدأ عهد الدَّولة العامريَّة في الأندلس بقيادة المنصور بن أبي عامر الذي لقب نفسه بالملك الكريم المنصور، وأصبحت للدَّولة الأموية في عهده قوية جدًا واستعادت هيبتها ومكانتها من جديد، وقد تولى أمر الحجابة بعدة ولديه عبد الملك ثمَّ عبد الرَّحمان الذي طلب من هشام بن الحكم أن يجعله وليًا لعهده فأجابه الخليفة هشام لضعفه فكان ذلك سببًا في خروج أكابر الدَّولة عليه وقاموا بخلعه ومبايعة محمَّد بن هشام الملقب بالمهدي خليفة عليهم وكانت الدَّولة في عهده في حالة ضعف شديد وفوضى، فتمت تصفيته سنة 400هـ/1010م ومبايعة هشام بن الحكم مرة أخرى واستمر الضعف والاضطراب في البيت الأموي إلى غاية سقوطها نهائيًا سنة 422هـ/1031م.

وتُقسم فترة حكم الأمويّين في الأندلس إلى ثلاثة مراحل رئيسية: فالأولى هي مرحلة الإمارة من (138-316هـ)/(756-928م) والثانية هي مرحلة الخلافة (316-366هـ)/(928-977م) أما الثالثة فهي مرحلة الدَّولة العامريَّة (366-422هـ)/(977-1031م) ويعتبر عهد الأمويّين في الأندلس الذي استمر حوالي ثلاثة قرون أزهى فترات حكم المسلمين في هذه البلاد حيث عرفت هذه الدَّولة تطورًا كبيرًا في جميع الجوانب السَّياسيَّة، الاجتماعية، الاقتصاديَّة، الفكريَّة، الدينيَّة والعسكريَّة. ففيما يخص الجانب السِّياسي والإداري فقد كان منظمًا بإتقان حيث ظهر منصب الخليفة، الحاجب، الوزير ذي الوزارتين، صاحب الشرطة، صاحب المدينة، صاحب المظالم، المحتسب والقاضي (القاضي الشرعي والمدني) كما اهتم الأمويون بالجانب العسكري وأعدوا الجيوش وجهزوا الأساطيل من أجل حماية حدود دولتهم.

- العلاقات الخارجيَّة:

سبق وأن تناولنا علاقة الأمويّين في الأندلس بدول المغرب خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين والتي تتمثل في الدَّولة المدرارية، الرستمية، الإدريسية والأغلبية، وتحدثنا عن علاقتها بالدَّولة العُبيدية (الفاطمية) وذكرنا مرارًا أنَّ علاقتها مع الخلافة العباسية بأنَّها علاقة حرب وعداء شديد.

وفيما يخص علاقة الأمويّين بالممالك النَّصرانية في شمال الأندلس وكذلك الدول الأوروبية فقد تراوحت بين السِّلم والعداء، ولكن يغلب عليها طابع العداء وقد وقعت بينهما حروب عديدة، ولكن لم تمنع هذه الحروب على وجود علاقات ودية فقد حرس الأمويون على عدم الاعتداء عمومًا والاستعداد لعروض الصداقة وقد وردت أحيانًا من الممالك النَّصرانيَّة سفارات ودية محملة بالهدايا وبادلهم الأمويون بدورهم الهدايا، وتوسطت بعض الدول الأوروبية كألمانيا لدى الأمويون في حل بعض المشاكل كتلك السفارة الألمانية التي أرسلها أوتو الأوَّل (Otto I) إلى عبد الرَّحمان الناصر لكبح جماح الأندلسيّين في دولة جبل القِلال (فراكسنيتوم) جنوبي فرنسا، وفي سنة 365هـ/975م قدمت إلى قرطبة سفارة ترأستها أم لذريق بن بلاكش (Rodrigo Velazquez) أحد حكام غرب جلِّيقية فأكرمها الخليفة الحكم المستنصر غاية الإكرام حيث خرج لتلقِّيها واحتفل لقدومها في يوم مشهود، فوصلها وأسعفها وعقد

السِّلم لابنها كما رغبت وأحبت، ودفع لها مالًا تقسِّمه بين وفدها، وحُملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقلين بالذهب والفضة ومِلْحَفة ديباج.

المحاضرة السادسة: دويلات الطَّوائف في الأندلس

ظهرت دويلات الطوائف بالأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م حيث أستقل كل أمير أو وزير أو قاض بمدينة من المدن وأعلن نفسه حاكمًا عليها، والتفت هذه الدويلات إلى محاولة التَّوسع على حساب أراضي وممتلكات المدينة المجاورة مستعينةً بالنصارى الصَّليبيّين، فولَّد كل هذا صراعًا وعداءً انتهى في كثير من الأحيان إلى معارك وحروب، ويعد هذا العهد من تاريخ الأندلس أكثر الفترات تعقيدًا وتشابكًا واضطرابًا.

وتلقَّب هؤلاء الأمراء المتغلبون بألقاب الخلافة كالمتوكِّل والمعتضد والمعتمد والمستعين وغيرها فجلب لهم ذلك هجاء الشعراء حيث وصفهم ابن رشيق القيرواني ساخرا منهم بقوله:

مِمَّا يُزْهِدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ سَمَاعُ مُقْتَدِرٍ فيها ومُعْتَضِدِ
أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كالهِرِّ يَحكِي انتفَاخًا صَوْلَةَ الأَسَدِ

وقد بلغ عدد دويلات الطوائف حوالي ثلاثة وعشرون دويلة، تتفاوت فيما بينها من حيث القوَّة والضُّعف برزت منها سبع دول رئيسية غلبت على جميع الدُّويلات الأخرى أو تحالفت معها، وتتمثل هذه الدويلات في دولة بني ذي النون بطليطلة، دولة بني جهور بقرطبة، دولة بني عباد بإشبيلية، دولة بني هود بسرقسطة، دولة بني الأفطس ببطليوس دولة بني زيري بغرناطة دولة بني عامر ببلنسية وغيرها من الدُّول.

والملفت للنظر في تاريخ الأندلس في تلك الفترة أنَّ الأندلس الإسلامية كانت في حالة تمزق وصراع بينما كانت الممالك النَّصرانيَّة في شمال الأندلس في حالة وحدة وقوة بزعامة ملكهم القشتالي ألفونسو السَّادس الذي راح يهدد دويلات الطوائف بالسقوط والفناء، وشن عليهم حروبًا طاحنة عُرفت بحروب الاسترداد أو الحروب الصَّليبيَّة، وقد تكللت مساعيه بالنَّجاح عندما احتل مدينة طليطلة يوم 27 محرم سنة 478هـ/25 ماي 1085م، وبذلك سقطت إحدى حواضر بلاد الأندلس الكبرى وقلاعها الحصينة، واسترجع النَّصارى عاصمة القوط القديمة بعد أن حكمها المسلمون حوالي أربعة قرون.

وكان سقوطها نذيرًا بوقوع كامل بلاد الأندلس في أيدي النَّصارى، حيث اشتدَّ الخطر على المسلمين أكثر من ذي قبل بتعاظم حركة الاسترداد، وتحمس القوى النَّصرانيَّة بقيادة ألفونسو السَّادس لطرد المسلمين نهائيًا من بلاد الأندلس، كما كان لسقوطها وقعٌ كبيرٌ في جميع أنحاء العالم الإسلامي وأدرك المسلمون أنَّ إخوانهم في الأندلس يعيشون مأساة حقيقية، وقد اجتهد الشُّعراء في وصف هذه المأساة، منهم الشَّاعر الأندلسيّ عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال بقوله:

يا أهلَ أندلس حُثُّوا مَطيَّكمُ فما المقامُ بها إلَّا من الغلطِ

الثوبُ يُنسلُ من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولًا من الوسطِ

ونحن بينَ عدوٍّ لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيَّاتِ في سفطِ

ويعتبر سقوط طليطلة من بين الأسباب التي عجلت بتدخل المرابطين لنجدة إخوانهم في بلاد الأندلس الذين استصرخوهم، ورأوا فيهم السَّبيل إلى النَّجاة.

وقد لبى المرابطون دعوة أهل الأندلس وعبر أميرهم يوسف بن تاشفين من المغرب إلى الأندلس لأول مرة سنة 479هـ/1086م، وقاد الجيوش المرابطية والأندلسية معًا وألحق هزيمة نكراء بألفونسو السادس ملك قشتالة في معركة الزَّلاقة الشهيرة التي حدثت يوم الجمعة 12 رجب سنة 479هـ/23 أكتوبر 1086م، وقد عمَّت الأفراح أرجاء العالم الإسلامي وأعتقت الرقاب ووزعت الصدقات وشُبه يوم الزَّلاقة بيوم اليرموك والقادسية وارتفع شأن المرابطين وأميرهم يوسف بن تاشفين، وأثنى عليه العلماء والفقهاء ثناءً كبيرًا خاصة الإمام أبو حامد الغزالي الذي سُرَّ بهذا النَّصر واعتبر الأمير يوسف المسلم المثالي الذي سيعيد للإسلام سابق عزه وينقذه ممَّا تردى فيه.

وقبل عودة الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين إلى بلاد المغرب نصح أمراء الطوائف بعدم النزاع والفرقة فيما بينهم، ولكن هؤلاء الأمراء عادوا إلى سيرتهم الأولى من النزاع والاستعانة بالصَّليبيّين على بعضهم البعض، فانتهز ألفونسو السَّادس الفرصة من جديد وهدَّد مدن شرق الأندلس بالسقوط انطلاقا من حصن لييط الذي كانوا يشنون منه هجماتهم على بلاد المسلمين ويتحصنون به، وعندما لم يستطع أمراء الطوائف رد عدوان ألفونسو السَّادس استنجدوا للمرة الثانية بأمير المرابطين يوسف بن تاشفين فعبر للمرة الثانية سنة 481هـ/1088م وقاد جيوش المسلمين في معركة عُرفت بمعركة حصن لييط وتمكن من استرجاعه وطرد النَّصارى منه.

عاد الأمير يوسف بن تاشفين مجددًا إلى بلاد المغرب، ورجع هؤلاء الأمراء مجددًا إلى صراعاتهم والتعاون مع النَّصارى ضدَّ بعضهم البعض، فأفتى فقهاء الأندلس وعلماءها وكذلك علماء المغرب والمشرق الإسلاميين أمثال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي وكبير فقهاء المذهب المالكي أبو بكر الطُرطوشي بشرعية خلع أمراء الطوائف من قبل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لأنَّ خيانتهم كانت واضحة للعيان، فعبر الأمير يوسف للمرة الثالثة إلى الأندلس وقضى على جميع دويلات الطوائف سنة 483هـ/1090م وألحق الأندلس بدولة المرابطين ما عدا إمارة بني هود بسرقسطة التي أعلنت الهدنة والسَّلم مع المرابطين وبذلك تنتهي فترة دويلات الطوائف بالأندلس.

المحاضرة السابعة: الدَّولة المرابطيَّة في الأندلس

– استيلاء المرابطين على الأندلس:

سمع بأخبار الدَّولة المرابطيَّة وأميرها يوسف بن تاشفين القاصي والداني في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، فاشتهر ذكره وعلت مكانته، وراح أهل الأندلس يستنجدون به، ويُعلقون عليه الآمال لتخليصهم من عدوان النَّصارى الصَّليبيّين الذي استفحل واشتد أكثر فأكثر عندما سقطت طليطلة على يد ألفونسو السَّادس ملك قشتالة سنة 478هـ/1085م.

ولم يُخيِّب الأمير يوسف آمال أمراء الطَّوائف فعبر إلى الأندلس للتَّصدي للقوى النَّصرانيَّة، فانتصر عليهم في معركة الزَّلاقة الشهيرة سنة 479هـ/1086م، كما حقَّق الانتصار في معركة حصن لييط سنة 481هـ/1088م، وتمكن بعد عامين من ذلك من الاستيلاء على الأندلس والقضاء على دويلات الطَّوائف بعد أن ثبت للعيان خيانة أمرائها بتعاونهم مع النَّصارى ضدَّ المسلمين، وبعد صدور فتاوى علماء المشرق والمغرب والأندلس بشرعية خلع هؤلاء الأمراء المتخاذلين.

وقد انتهج الأمير علي بن يوسف نهج والده في محاربة النَّصارى في الأندلس وإعلاء كلمة الجهاد في سبيل الله وحقَّق بدوره انتصارات خالدة في معظم المعارك التي خاضها ضدَّ الممالك النَّصرانيَّة مثل معركة أُقليش سنة 501هـ/1108م ومعركة إفراغة سنة 528هـ/1134م وغيرهما.

– العلاقات الخارجيَّة:

كانت علاقة دولة المرابطين بالممالك النَّصرانية في الأندلس علاقة عداء وحرب شديد مع جميع هذه الممالك قطالونية والبرتغال وخاصةً مملكتي قشتالة وأراغون اللَّتين دخلتا مع المرابطين في معارك وحروب كثيرة. وبدأ هذا العداء لما عبر المرابطون إلى الأندلس لنجدة دويلات الطَّوائف من الزحف الصَّليبي على أراضيهم، وانتصارهم المدوي على ملك قشتالة ألفونسو السَّادس في معركة الزَّلاقة الشهيرة سنة 479هـ/1086م بقيادة الأمير يوسف بن تاشفين، وقد استمرت علاقة العداء والحروب بينهما في عهد الأمير يوسف وولده علي، حيث قاد العديد من المعارك لرد عدوان النَّصارى على بلاد المسلمين وكان النصر تارةً للمرابطين وتارةً أخرى للممالك النَّصرانيَّة.

أما علاقتهم بالموحِّدين فقد كانت علاقة حرب وعداء أيضًا، فمنذ ظهور ابن تومرت على مسرح الأحداث في مطلع القرن السَّادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) والموحِّدين يحاربون المرابطين بالنَّشاط الدعوي والسِّلاح وخاضوا معهم معارك عديدة في المغرب والأندلس إلى أن تم القضاء على دولتهم بصفة نهائية بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي وهذا في سنة 541هـ/1147م.

المحاضرة الثامنة: الدَّولة الموحِّديَّة في الأندلس

– استيلاء الموحدين على الأندلس:

تمكن الموحِّدون من الاستيلاء على مدن الأندلس تباعًا والقضاء على دولة المرابطين والأمراء المتغلبين على بعض المدن بها ابتداءً من سنة 541هـ/1147م.

بلغت الدَّولة الموحِّديَّة أوج عظمتها وقوتها في عهد الخليفة عبد المؤمن وولده يوسف وحفيده يعقوب المنصور، ومن صور قوتها مقارعتهم للنَّصارى الصَّليبيِّين في الأندلس، حيث قادوا معارك عديدة ضدهم وحقَّقوا في أغلبها انتصارات مدويَّة مثل معركة الأرك سنة 591هـ/1195م بقيادة الخليفة يعقوب المنصور وغيرها، وتعرض الموحِّدون إلى بعض الهزائم القاسية من طرف النَّصارى منها على الخصوص معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م والتي كانت سببًا في تراجع دولة الموحِّدين وبداية النِّهاية في الأندلس والمغرب، حيث لم تقم لها قائمة بعدها واستمرت في الضعف الشديد إلى أن سقطت نهائيًّا بسقوط عاصمتهم مراكش على يد المرينيِّين سنة

668هـ/1269م. وقد انقسم المغرب على إثر ذلك إلى ثلاث دول هي الحفصيَّة في المغرب الأدنى والزيانيَّة في المغرب الأوسط والمرينيَّة في المغرب الأقصى، واستولى بني نصر (بني الأحمر) على الأندلس.

– العلاقات الخارجية:

فيما يخص علاقة الموحِّدين بالممالك النَّصرانية في شمال الأندلس فقد كانت علاقة عداء وحروب مع جميع الممالك النَّصرانيَّة قشتالة وأراغون وليون والبرتغال وغيرها، وقد بدأ هذا العداء منذ استيلاء الموحِّدين على الأندلس في حدود سنة 541هـ/1147م، وحدثت بينهما معارك وحروب طاحنة كان فيها الانتصار للموحِّدين أحيانًا وللممالك النَّصرانية أحيانًا أخرى، مثل غزوة شنترين سنة 580هـ/1184م والذي استشهد فيها الخليفة الموحِّدي يوسف بن عبد المؤمن، ومعركة الأرك الشهيرة سنة 591هـ/1195م بقيادة يعقوب المنصور. ونشير إلى أنَّه تخللت علاقة العداء علاقة السِّلم والموادعة في بعض الأحيان والظروف بين الممالك النَّصرانيَّة والموحِّدين، فلمَّا اشتدت غزوات الموحِّدين على الممالك النَّصرانيَّة وحقَّقت انتصارات عديدة عليهم، سارع ملوكها وأمرائها لطلب الهدنة من الموحِّدين وقد حلت البعثات بإشبيلية في شهر ذي الحجة سنة 568هـ/جويلية 1173م على الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من قبل حاكم طليطلة الكون نونيو ودي لارا، وألفونسو الثَّامن ملك قشتالة، وملك البرتغال ألفونسو هنريكيز لطلب الهدنة، وبعد مفاوضات استمرت شهرين كاملين تكللت بقبول الخليفة توقيع الهدنة مع هؤلاء الملوك. كما سارع المغامر ورئيس العصابة التي عاثت في غرب الأندلس فسادًا واستولت على مدن المسلمين وممتلكاتهم "جيرالدو سمبافور" إلى طلب الهدنة مع الموحِّدين أيضًا لأنَّه شعر بأنَّه فقد مكانته وأغلقت في وجهه فرص المغامرة وأنَّ الموحِّدين سوف يتفرغون لقتاله، فسار في صحبة رجاله الثلاثمائة والخمسين إلى إشبيلية سنة 569هـ/1174م والتمس قبوله عبدًا وخادمًا للخليفة يوسف لكي يضمن قوت يومه فقبل الخليفة التماسه وأحسن إليه وأكرمه.

المحاضرة التاسعة: دولة بني نصر (بني الأحمر) في الأندلس

– تأسيس الدَّولة:

محمَّد بن الأحمر الأوَّل هو الغالب بالله أمير المسلمين الشَّيخ أبو عبد الله محمَّد بن يوسف بن محمَّد بن نصر بن قيس الخزرجي، من ولد أمير الأنصار سعد بن عبادة، وهو مؤسِّس الدَّولة النَّصريَّة تسلم إمارة مدينة أرخونة في رمضان 629هـ/1232م وحاول التَّوسع على مدينتي قرطبة وإشبيلية لكنه فشل، وأمام الشهرة والتأيِّيد اللَّذين تمتع بهما "أبو عبد الله محمَّد بن يوسف بن هود الملقب بسيف الدَّولة وبالمتوكل على الله والمستعين" في الأندلس بعد سقوط دولة الموحِّدين، أعلن محمَّد بن الأحمر دخوله في طاعته في شوال سنة 631هـ/جويلية 1234م واكتفى بإمارته على أرخونة وجيان وضواحيهما، لكن التنافس بين الأميرين استمر خفيفًا إلى أن استولى فرديناندو الثالث ملك قشتالة على قرطبة في جمادى الأولى 633هـ/1236م بمساعدة ابن الأحمر من دون أن ينتبه الزعماء المسلمون، ولما لم يُنجد ابن هود قرطبة والتي كانت تحت إمرته، اهتزت مكانته لدى أهل الاندلس وعلت مكانة ابن الأحمر الذي عرف كيف يستغل الموقف. وكان ابن هود قد ولَّى على مدينة غرناطة عتبة بن يحي المغيلي، وكان خصم ابن الأحمر يامر بسبه على المنابر، وكان ظلومًا جائرًا لذلك ثار أبناء غرناطة بتحريض من ابن أبي خالد أحد أعيان مدينة جيان واقتحموا القصبة وقتلوا عتبة وأعلنوا طاعتهم

لابن الأحمر، فدخلها هذا الأخير في رمضان 634هـ/ماي 1237م وجعلها حاضرته ومقر حكمه بدلًا من جيان المهددة باستمرار من قبل النَّصارى. ولما قُتل ابن هود في المرية في ظروف غامضة بعد خيانة واليها له سنة 635هـ/1238م دبت الفوضى في المدينة ممَّا سهَّل دخول ابن الأحمر إليها في شوال سنة 635هـ/1238م. أما مالقة فقد أعلنت ولائها لابن الأحمر في السنة التالية. وقد استطاع محمَّد بن الأحمر الأوَّل أن ينظم شؤون المملكة الفتية فوطَّد دعائمها وراقب مداخيل بيت المال وقضى على الفوضى والفساد. وامتدت حدود مملكته الجغرافية من مدينتي جيان وبياسة حتَّى البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) وشرقًا حتَّى المرية وغربًا حتَّى مصب الوادي الكبير، ويخترقها في الوسط نهر شنيل والدارو، وفيها جبال سييرا نيفادا وهضاب البشرات.

واتبع بنو نصر النظام الوراثي، حيث اقتصر الحكم في نسل محمَّد بن الأحمر الأوَّل، أمَّا مذهبهم فقد كان سنيًا مالكيًا، ويقول ابن الخطيب في هذا الشأن أنَّ أحوال هذا القطر في الدِّين وصلاح العقائد أحوال سنية، والأهواء والنِّحل فيهم معدومة، ومذهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية.

وقد عمرت دولة بني نصر أكثر من قرنين ونصف القرن حيث سقطت نهائيًا في يد ملكي قشتالة وأراغون فرديناند وإيزابيلا سنة 898هـ/1492م. وقد أعقب سقوط غرناطة موجة من التعذيب الوحشي الذي حل بمن بقي في البلاد من المسلمين، ولم تنته هذه الموجة إلَّا في القرن السابع عشر الميلادي، بعد أن عذب من المسلمين من عذب، وشرد من شرد، وقتل من قتل، حتَّى لقد ثبت أنَّ جملة من نُفي من مسلمي الأندلس عقب سقوط غرناطة بلغت ثلاثة ملايِين نسمة.

– العلاقات الخارجية:

كانت علاقة بني نصر بالممالك النَّصرانيَّة علاقة حروب وعداء شديد، وقد حدثت حروب عديدة جدًا بين الطرفين، وبالرغم من تحالف الممالك النَّصرانيَّة على إسقاطها خاصةً مملكتي قشتالة وأراغون إلَّا أنَّ مملكة غرناطة استطاعت المقاومة والصمود ورد ما يعرف بحروب الاسترداد في الأندلس، ومن أهم أسباب صمودها لأكثر من قرنين ونصف القرن نذكر:

– بُعد مملكة غرناطة عن متناول الممالك النَّصرانيَّة.

– الوازع الدِّيني المتمثل في الجهاد في سبيل الله الذي التزم به سكان هذه المملكة.

– استطاعت مملكة غرناطة أن تدرب سكانها على حمل السلاح والتهيؤ باستمرار لملاقاة العدو.

ونشير إلى أنَّ علاقة العداء ليست وحدها التي ميزت العلاقة بين الطرفين، بل كانت هناك علاقة السِّلم بإبرام الطرفين المتحاربين للهدنة، ونذكر على سبيل المثال الهدنة التي حدثت زمن السلطان النَّصري يوسف الثالث (810-820هـ/1408-1418م) مع مملكة قشتالة لوقف الحرب لمدة سنتين، وعندما أراد الغرناطيون تجديدها رفض القشتاليون ذلك. ولقد استمرت الحروب بين الطرفين المتخاصمين خاصةً عندما بدأ الضعف يدب في مملكة بني الأحمر إلى أن سقطت نهائيًا في يد النَّصارى سنة 898هـ/1492م.

أمَّا علاقة بني نصر في الأندلس بالزيانيّين في المغرب الأوسط فقد كانت علاقة حسنة، وتوثقت العلاقة بينهما في جميع المجالات من سياسية وعسكرية واجتماعية وثقافية واقتصادية، ففي الجانب السِّياسي شهدت العلاقة جوانب متعددة منها لجوء الدَّولة الزيانية إلى إبعاد المعارضين لها إلى الأندلس، ودعم بنو الأحمر للسلطان أبا حمو موسى الثاني سياسيًا وعسكريًا، وبالمقابل دعم الزيانيون أيضًا بني الأحمر في حروبهم ضدَّ النَّصارى الصَّليبيّين وكانت المساعدة على شكل أحمال من الذهب والفضة والخيل المسومة والمراكب المشحونة بالزرع، كما سمحت للأفراد على شكل جماعات الذهاب إلى الأندلس بدافع الجهاد في سبيل الله، وتوثقت أيضًا العلاقة بتبادل الهدايا والتهاني بين زعماء الدَّولتين، وباستقبال الدَّولة الزيانية سكان الأندلس المهاجرين في مدن وسواحل المغرب الأوسط، منهم من اشتغل مناصب مهمة في الدَّولة كالوزارة والحجابة وخاصةً في عهد السلطان أبي حمو موسى الأوَّل، ومنهم العلماء الذين تولوا مهام التَّدريس في مساجد ومدارس تلمسان وغيرها من المدن الزيانية، وتوثقت أيضًا العلاقة الاقتصادية بين الدَّولتين فكانت الدَّولة الزيانية تمد المساعدة للمسلمين في الأندلس عند تعرضهم لبلاء أو مجاعة وتمدهم بالمال والغذاء، ففي سنة 763هـ/1362م قدمت الدَّولة الزيانية لأهل الأندلس ما مقداره خمسين ألف قدح من الزرع وثلاثة آلاف دينار من الذهب.

ويمكن وصف العلاقات بين بني نصر والمرينيّين بأنَّها كانت علاقات يشوبها الحذر والترقب ومرجع ذلك إلى تشكك سلاطين بني الأحمر كثيرًا في نوايا بني مرين وتطلعاتهم في بلاد الأندلس ولذلك كان يغلب على هذه العلاقات التذبذب بين الود المتبادل أو العداء والنفرة في بعض الأحيان. وقد ساعد المرينيون بنو الأحمر في الأندلس لصد النَّصارى خلال اجتياحهم لأراضي المسلمين الباقية في الأندلس مرات عديدة، ولكن حدثت خلافات بين الدَّولتين، لأنَّ بني الأحمر بقوا دائمًا يتوجسون خيفةً من أطماع بني مرين في الأندلس.